# محاضرة حول:

# مدخل لدراسة النظرية السوسيولوجية

**تمهيد:**

نظرا لأهمية النظرية وضـــرورتها في تفســـير الحقائق الاجتماعية أصـبحت ضـرورة لا غنى عنها في مختلف التخصـصـات بما في ذلك علم الاجتماع .فكل بحث لا يســـتند إلى نظرية ما، فهو عبارة عن مضـــيعة للوقت .

حيـث تظهر أهميـة التوجيـه النظري والنظريـة عـامـة في البحـث السـوسـيولوجي. وظهور العديد من النظريات سـواء في جزئها التقليدي ( الكلاسـيكي) ، أو الجزء الحديث (المعاصـر) وكذلك التطور المستمر الذي تعرفه النظرية الســـوســـيولوجية، والتباين الفكري والايديولوجي الذي تنطلق منه. وعليه سوف نتناول مايلي:

**طبيعة النظرية السوسيولوجية.**

**شروط النظرية السوسيولوجية.**

**بناء النظرية السوسيولوجية**

**وظائف النظرية السوسيولوجية.**

## طبيعة النظرية السوسيولوجية وشروطها:

النظرية السوسيولوجية هي "مجموعة من العلاقات التي تفسر ظواهر التفاعل في إحدى مجالات الأنشطة التي يمارسها الإنسان، الفرد والجماعات الاجتماعية بوجه عام.

أما ويلر فيقول بأن النظرية السوسيولوجية :هي مجموعة من العلاقات المتكاملة على درجة معينة من الصدق في تفسير ظواهر المجتمع ومشكلاته.

كما يقدم جارهام كينلوتسن تعريفا مضمونه "مجموعة من القضايا المترابطة والمتناسقة منطقيا في تفسير ظواهر المجتمع ونظمه ومشكلاته، على أساس من التجريد وقوانين المنطق والربط بين العلاقات القائمة بين ظواهر المجتمع بهدف تأكيدها أو رفضها أو تعديلها طبقا للمشاهدات الواقعية في الواقع الاجتماعي الملموس لبيئة معينة."

أما بارسونز فيرى بأن النظرية السوسيولوجية: هي عبارة عن " نسق نظري يشكل وحدة لمفاهيم مترابطة ومتساندة منطقيا وبنائيا، لها مرجعية امبريقية في الواقع تشكل فيها العلاقات بين الأجزاء وإمكانية اشتقاق فرضيات جديدة أو تعميمات تعبر عن انتظامات امبريقية".

ويقول ارنولد روس : Ross في مؤلفه" النظرية والمنهج في العلوم الاجتماعية ": "إن النظرية بناء متكامل يضم مجموعة التعريفات

والافتراضـــات، وقضـــايا عامة تتعلق بظاهرة معينة، بحيث يمكن أن يستنبط منها منطقيا مجموعة من الفروض القابلة للاختبار".

ويرى محمد علي محمد في مؤلفه: " علم الاجتماع والمنهج العلمي" أن أفضـل التعريفات هي التي اعتبرت النظرية السـوسـيولوجية مجموعة من القضـايا العامة ولكنها ميزت بين درجة العمومية على نحو يجعل من الممكن اشتقاق القضايا بعضها من بعض.

وذهـب هـار Harre إلى أن النظريـة السـوسـيولوجيـة عبـارة عن : تعميمات مستخلصة من دراسة الواقع ومرتبة داخل نسق منطقي، يسمح باستنتاج إحداها من الأخرى وتصبح النظرية على هذا النحو أعلى درجات المعرفة.

ويعرف موريس أنجلوس النظرية السـوسـيولوجية بأنها " :مجموعة من المصـطلحات والتعريفات والافتراضـات التي لها علاقة ببعضـها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة، وذلك بهدف عرضـها، والتنبؤ بمظاهرها."

حيث قسم موريس النظريات إلى قسمين :نظريات خاصة أو جزئية : تنطبق على مواضـيع خاصـة داخل فرع خاص، مثال في التا ريخ تفسـير أسـباب غياب برجوازية الأعمال، لدى الكنديين من أصـل فرنسـي في القرن 14، هـذه النظريـات الجزئيـة تنشـأ من نظريـات أكثر اتسـاعـا .

ونظريات عامة (شـاملة)، كالبنائية الوظيفية، الماركسـية .كما تشـير إلى العلاقـات المتبـادلـة بين الوقـائع، أو هي الأداة التي تنظّم هـذه ال وقـائع فتجعلها ذات معنى ودلالة.

فحين اعتبر دارندورف النظرية السـوسـيولوجية على أنها: "مجموعة قوانين يستخرج منها استنتاجات دقيقة غير متحيزة، لها فعالية في تفسير وشرح سلوك وتفكير الناس من واقعها الحقيقي."

وتعتبر النظرية السـوسـيولوجية على درجة كبيرة من التعقيد، لأن هنـاك الكثير من العوامـل المتبـاينـة والمتـداخلـة في تركيـب البنـاءات الاجتماعية المختلفة، واختلاف الطبيعة البيولوجية والاثنولوجية للأفراد داخل البناءات البسـيطة والمركبة وعلاقاتها ببعضـها البعض." فالنظرية السوسيولوجية هي عملية ديناميكية لمحاولة تفسير الحقيقة الاجتماعية تفسـيرا نظريا". إذن يتألف بناء النظرية من تعميمات مسـتخلصـة من دراسـة الوقائع، ومرتبة في نسـق منطقي، يسـمح بالاسـتنتاج، لتصـبح النظرية أعلى درجات المعرفة.

وانطلاقا من التعريفات السابقة، يمكن الوصول إلى أن النظرية هي مجموعة من القضايا التي تتوافر فيها الشروط التالية:

- ينبغي أن تكون المفهومات التي تعبر عن القضـايا محددة بدقة؛ أي استبعاد كل المصطلحات الغامضة وغير الواضحة، فالوضوح والدقة ضروريان في النظرية ومكوناتها.
- أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.
- أن تكون هذه القضـايا خصـيبة ومثمرة، تسـتكشـف الطريق لملاحظات أبعد مدى، وتعميمات تنمي مجال المعرفة.
- يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى.
- أن تكون معبرة عن الواقع ومرتبطة به، وقابلة للاختبار.
- القدرة على التنبؤ، فالوصف والتفسير وحدهما غير كافيان لابد من التنبؤ.
- المرونـة :من الضـروري أن تخضـع النظريـة للتعـديـل والتغير والتطور.
- ضرورة اخضاع النظرية للبحث والتجريب.

## بناء النظرية السوسيولوجية ووظائفها:

يؤكد ميرتون أنه حينما تترابط المفاهيم، في شكل إطار أو مشروع فكري، فإن النظرية تبدأ في الظهور وحينئذ فإن المفاهيم تُشكل التعريفات (التشخيصات أو التحديدات) لما يجب أن يلاحظ، إنها تشكل المتغيرات التي يجب أن نبحث بينها عن العلاقات الامبريقية المتبادلة وحينما تترابط أو تتداخل القضايا منطقيا فإن النظرية تتشكل.

ومن خلال التعريفات السابقة للنظرية السوسيولوجية، يتبين لنا أنه يجب توفر عناصر أساسية لبنائها، حيث تتمثل هذه العناصر فيمايلي:

- **المفاهيم** :يعرف المفهوم بأنه تمثيل مختصر لمجموعة من الحقائق، أو هي رموز لفظية مميزة تعطى لأفكار معممة، تم تجريدها عن الملاحظة العلمية للمجتمع.

**مثل**: مفهوم العنف، الانتحار، المجتمع، الطبقة...الخ.

وتقوم المفاهيم بدور أســاســي هو تجريد الواقع تحت رمز محدد ومعين، والتجريـد هو فصـــل الظـاهرة عن الارتبـاطـات الأخرى التي لا يحتاجها العلم .إذ يقوم الباحث بفصــل الحقائق موضــع الاهتمام من المركب الكلي للظاهرة.

فالمفاهيم تســاهم في بناء النســق النظري، وإزالة الغموض الذي تتضـمنه النظرية. كما يسـاعد المفهوم على تحديد المعطيات التي تندرج تحته، بحيث يســاعد ذلك على التقليل من إمكانية تضــمين أية بيانات امبريقية أخرى.

**القضــايا** :من خلال القضــايا ترتبط المفاهيم ببعضــها البعض لتشكل عبارات تبنى عليها النظرية.

**مثل** :لدينا مجموعة من المفاهيم، إعادة الإنتاج، العنف المدرسي العنف المجتمعي . يمكن اســتخراج قضــيـة من خلال الربط بين هـذه المفاهيم، فنقول :العنف المدرسي هو إعادة إنتاج للعنف المجتمعي.

إذن القضية هي تعبير عن الواقع الاجتماعي المتضمن مفهومين أو أكثر . وقد يشار للقضية باعتبارها فرضا؛ أي تعميما احتماليا يخضع للاختبار.

**البناء المنطقي** :يشير إلى الهيكل البنائي الذي تنتظم فيه قضايا النسق النظري .يشتمل على قضايا أو مقدمات أو توجيهات نظرية عامة.

حيث يعرف روبرت ميرتون تنظيم القضايا بأنها "الترتيب المنتظم والمحكم للتجربة المنظمة والمثمرة التي يتم انجازها بواسطة إجراءات البحث والنتائج العينية التي تنتج عن الاستفادة من هذه الإجراءات.

وبعبارة أخرى يتخذ التنظيم من التصميمات أو القضايا الامبريقية والنظرية وحدات أساسية في بناء النظرية الاجتماعية...الخ.